منشئ المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن   دسمبر (كانون الاول) ١٩١١   السنة الثانية

المطر

لا نغالي اذا قلنا ان مصر لا تعرف من فصول السنة الاّ اثنين الصيف والربيع ، ويكاد فصل الشتاء وما يتخلله من الزوابع والأمطار يكون فيها اسماً لغير مسمى . على ان شوكة القيظ قد انكسرت الآن وبتنا على باب ما يُعدُّ في معظم الأمصار فصل الأمطار . اضف الى ذلك ان توسيع نطاق الري وزيادة المغروسات واختراق الاسلاك البرقية لجوّنا لما احدث بعض التغيير في تقلبات الطقس عندنا ، فصارت السحب تجود علينا بمزنها اكثر من ذي قبل ، فرأينا سماءنا في شهر واحد ممطرةً اكثر من ثلاث مرّات . فأحببنا ان نقول كلمةً في المطر وماهيته ومصدره ومظاهره المختلفة :

الغيوم مصدر المطر — ان حرارة الشمس تعمل في البحار والبحيرات ومجاري المياه ، فتحدث فيها ما نسميه « بخاراً » . تتبخر المياه فتتصاعد في الفضاء وتتركب منها تلك الغيوم التي نراها متلبدةً في كبد السماء .

ومرجع الغيوم الى ثلاثة أنواع : منها ما هو معروف باسم «سيرُّس» وهو كناية عن قطع مستطيلة بيضاء تظهر في سماء زرقاء في اواخر الطقس الحسن . ويتفاوت علوُّها بين تسعة او عشرة كيلومترات ، وكثيراً ما تكون درجة حرارتها تحت الصفر ، فتكون مركبةً من إبر جليد سابحة في الفضاء . ومنها نوعٌ معروف باسم « كومولُس » وهو عبارة عن غيوم مستديرة الشكل كبيرة الحجم بيضاء اللون ، كثيراً ما تغشي السماء دون ان يعقبها مطر . والنوع الثالث معروف باسم « نمبُس » وهي غيوم قاتمة تحجب أشعة الشمس ، وهي أقل ارتفاعاً من النوعين الاولين بحيث انها تكون احياناً على مقربة من سطح الارض

اما الغيوم عموماً فهي مجموع نُقَيطات ميكروسكوبية يتلاعب بها مجرى الهواء فتتجمع معاً ، ويزداد حجمها فتسقط على الارض مطراً ، ويكون سبب ذلك برودة تحدث بغتةً في الهواء . وفي بعض الاحيان تحول هذه النقط الى ابر جمدٍ يزيد ثقلها على الهواء فتقع وهي تذوب اثناء وقوعها . ويسهل على سكان الجبال ان يتحققوا هذا الحادث الطبيعي ، لأنهُ عند سقوط المطر في الاودية يقع الثلج على قمم الاطواد

فمما تقدم يمكننا ان نقول ان المطر هو مبادلة الماء بين الارض والهواء بواسطة الحرارة اولاً ، والبرودة ثانياً . ولمجرى الهواء تأثير في المطر ، فالهواء المار على البحار يحمل المطر في غالب الاحيان لانهُ يقذف بالغيوم المملوءة بخاراً . وقد فقه العامة والزرّاع ذلك فهم يقدّرون وقوع المطر حسب هبوب الريح

ميزان المطر — قياس كمية المطر الواقع أمر سهل لمبتغيه . وميزانه كناية عن اناء عمودي ، في قسمهِ الاعلى قمع يستقبل المطر النازل ، وكل مدة يقاس علو الماء في الاناء فتعرف كمية المطر . وفي بعض الموازين ابرة تدوّن على الورق الارقام زيادة في الدقة والضبط

مياه المطر — وفي مياه المطر جراثيم ميكروبية خلا الاملاح المعدنية كالامونياك والكلور والحامض النتريك ، فليس هذا الماء اذن تقياً طاهراً كما يعتقده الكثيرون . واكثر الامطار ميكروباً ما يقع في الاشهر الحارة

مقدار المطر — وليس الشتاء كما يعرف الجميع متساوي النسبة على سطح الارض ، فان بعض الاصقاع يصيبه اكثر مما يصيب غيره . واكثر البلاد مطراً البلاد المجاورة خط الاستواء . في اميركا بلاد غويّان وفي افريقيا سييرا ليونه وخليج جينه وشواطئ نهر النيجر ، وفي آسيا واوقيانيا جزائر جاوى وصومتره وبورنيو وملقه يصيبها مطر أغزر من سائر الاقطار . ففي أنحاء سييرا ليونه مثلاً يبلغ علو المطر اربعة امتار ونصف متر ، وفي فيدجه ستة امتار ونيفاً ، ويتوصل في خليج بنغال الى اثني عشر متراً وما فوق . ومعدل المطر في سوريا ٩٢ سنتيمتراً ، وهو في مصر دون ذلك بكثير

ويصيب الانحاء الجبلية عموماً من المطر نصيب اوفر من سواها .

وللشجر والمزروعات تأثير عظيم في استجلاب ماء السماء كما تقدم

ويقال ان مدينة بايتا في البيرو من اقحط البلاد فقد تمرّ سبع

سنوات دون ان ينزل فيها نقطة ماء . اما مقدار ما يقع سنوياً من المطر على سطح الارض فيبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٨٠ مليون متر مكعب

المطر الاصطناعي — لاحظ أصحاب التدقيق ان المواقع العظيمة قد عقبها غالباً مطرٌ غير منتظر مثل مواقع هوهنلندن وايلو وواترلو (في حروب الامبراطورية الفرنسوية) وموقعة بويبلا (في حرب المكسيك) وانكرمن (في حرب القريم) وماجنتا (في حرب ايطاليا) الخ . وجرى مثل ذلك ايضاً عقب اكثر التمرينات الحربية المدفعية . ففي ٢٥ سبتمبر كانت جيوش المتحالفين تقوم بمثل هذه المناورات قرب بيانست وكانت الغيوم متلبدة في كبد السماء ، فمنذ اطلاق المدافع انهمر المطر بغتةً وانقشعت الغيوم

فبعد هذه المشاهدات والملاحظات اخذ العلماء يتساءلون عما اذا لم يكن لاهتزاز الهواء — وإن بطريقة اصطناعية — تأثير في سقوط المطر . وكان الفلكي الاميركي « بويرس » قد ذكر في كتابه « الفلك والحرب » ان المواقع التي جرت في حرب اميركا قد عقب اكثرها نزول المطر . فحدت الهمة بالقائد « ديرنفورث » الى اختبار ذلك باطلاق المدافع على الغيوم . فالتأم مؤتمر علمي لهذه الغاية وجعل له مبلغاً قدره خمسون ألف فرنك . فاجرى القائد المذكور اختباراته في ولاية « تكساس » من أعمال الولايات المتحدة سنة ١٨٩١ فلم يتوصل الى نتيجة مرضية

وقام بعد ذلك العالم « بودوان » مستنداً الى هذا المبدأ « ان الماء ثابت في الفضاء بقوة الكهرباء ، وانه اذا توصل الى تفريغ المجموع

الكهربائي بواسطة طيارة مكهربة ينال المطلوب » فنجحت اختبـاراته بعض النجاح ولكن طيارته المكهربة كانت تعود مراراً بصفقـة خاسرة فلا تليها نقطة ماء

وأصاب مثل هـذا النجاح الجزئي المهندس الّن في الهنـد لكن بطريقة اخرى ، فانه كان يرسل في الفضاء اسهماً مملوءة من الاثير ، فكانت عند انفجارها تحدث برودة في الهواء من شأنها ان تحول الغيوم الى مياه تنهمر على الارض

هذا معظم ما رأينا ذكره في هـذا الصدد سائلين ان يكون مطر هذا العام مطر خيرٍ واقبال على الفلاّح العزيز عماد الثروة والفلاح فيتسنى لنا ان نقول عن بلادنا ما قاله الشاعر ڤرجيل عن بلاده « بلاد غنية بالرجال والغلال »



محاكم الاحداث

لا يمضي يوم الا ويأتينا غيره باخبار وحوادث لم نسمعها من قبل . فمن يوم الى يوم ، ومن شهر الى شهر ، ومن سنة الى سنة ، تظهر اختراعات واصلاحات لم نكن نحلم بها ولم تخطر لنا على بال . . .

ومن الاصلاحات الحديثة العهد نهضة اصلاح شؤون الاحداث كما يسمونها Child Labor Question فقد سمعنا ولا نزال نسمع كل يوم بالنظامات الجديدة والشرائع الحديثة التي تسنها الحكومات الراقية حباً بتخفيض ويلات الاحداث ومصائبهم ولا سيما العاملين منهم باشغال مختلفة

كالمعادن والمعامل وما شاكل . فقامت باصلاحات نعجز عن تعدادها الآن لضيق المقام . ومما نظرت فيه الحكومات اخيراً هو محاكمة الاحداث الغير البالغين . فقد كانوا فيما مضى يعاملون كالرجال تماماً ، اذ كانوا يحاكمون بموجب قانون واحد يشمل الكل على السواء

فكنت ترى الاحداث مسوقين الى السجن ليقضوا فيه أياماً وأسابيع وشهوراً كأكبر المجرمين

ولم يكن السجن نصيبهم فقط بل كانوا يساقون الى النطع فيعدمون كالآخرين . والتاريخ يدلنا بأجلى بيان على الايام التي كانت رؤوس المجرمين تطير فيها عن أجسامهم لجرائم لا نعدها اليوم ذنوباً تستوجب عقوبة الاعدام . فكنت ترى في انكلترا مثلاً في القرن الماضي رجالاً ونساء صغاراً وكباراً معلقين على أخشاب إرهاباً للجانين وتسكيناً للحوادث والجرائم

ولا نحتاج للاسهاب في موضوع القصاص والعقاب فما غرضنا الآن شرح فلسفة العقاب والثواب ، بل جل ما نقصده هو اظهار عدم موافقة الحكم على الصغير كالكبير بمقتضى شريعة واحدة او قانون واحد . واليك حادثة حقيقية حدثت في اوائل القرن الماضي في بلاد الانكليز مأخوذة عن كتاب (حوادث المحاكم وماجرياتها في انكلترا) فمن القوانين التي سنّت عام ١٨٣٠ قانون الاعدام لأي سرقة كانت خصوصاً سرقة المخازن ، صغيراً كان السارق او كبيراً . فالحادثة التي نحن بصددها تروي ان فتاة لا تتجاوز السابعة عشرة من عمرها قُبض عليها في أحد مخازن الاقمشة الكتانية وهي تحاول السرقة وإذ كانت تخبيء القماش تحت ثوبها

لمحت صاحب المخزن فتركت القماش وهربت . فاتبعها الرجل بالبوليس فساقها الى السجن توًّا دون ان يسمع شكواها ، واحضرت اخيراً امام المحكمة الجنائية فكان ما دافعت بهِ عن نفسها قولها انها ابنة رجل متوسط الحال وانها كانت تعيش برخاء ، ولم تعرف الشقاء ولا الجوع الاَّ بعد تغيب أبيها عنها لانه كان قد مضى عليه مدة طويلة ولم يرجع الى البيت . ولما لم يكن الا والدها سنداً لها ولاخوتها الصغار عضهم الجوع وقرصهم البرد لطول غيبته عنهم . فاخذت هي تجول في أسواق المدينة علها تجد شيئاً تسد بهِ رمق اخوتها ورمقها ، فاعياها التعب والكلال ولم ترَ نفسها الا داخل المخزن فدفعها ما كانت عليهِ من الجهد الى أخذ بعض الاقمشة لتبيعها وتتقوت بثمنها . فحدث لها ما تقدم

ولما كان غرض المحكمة بتجريمها ومعاقبتها إرهاباً وعبرة ، رأى القضاة ان يشددوا في القصاص فعلقوها على خشبة في ساحة المدينة كأكبر المجرمين

أهذا هو العدل وهل كان حكمهم عادلاً ؟

اذا نظرنا الى القانون المسنون في ذلك الحين نرى انه كان حقاً ولكن هل يعدّ القانون الذي يقضي قضاءً كهذا قانوناً عادلاً ؟ أو هل كان اعدام تلك الابنة ارهاباً للمجرمين والسارقين . كلا لعمر الحق بل قد جاء في الكتاب الذي اخذنا عنهُ هذه الحادثة ان تعدد السرقات لم ينقص بل ظل آخذاً بالازدياد . والعقاب لا نفع منهُ الا اذا كان غرضه مساعدة الفرد الواحد واصلاحه ففي اصلاح الفرد صلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام

كلنا يعلم ان بذور الشر والجريمة سهل زرعها في الصغير . ومتى شب عليها تمكنت منهُ فقادته الى شر الهلاك وكانت عاقبة أمره الدمار . ومن النادر ان ترى مجرماً لم تتمكن فيهِ عاداته وأعماله منذ الصغر . فاذا لم ينقد الفتى في ما بين الرابعة عشرة والعشرين من عمره الى الشرور والجرائم لا خوف عليه من التهور فيها بعد ذلك . فالعمر المذكور هو الذي تنمو فيهِ أخلاق الفتى والفتاة ، وتتكوّن فيهما العواطف والانفعالات فيكونان شديدي التأثر من الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية على السواء . فان كانت هـذه الانفعالات والمؤثرات رديئة فاسدة تمكنت في الولد فيشب عليها ويصبح شريراً فاسداً . والعكس بالعكس

وهذا معنى قولهم « العلم في الصغر كالنقش في الحجر »

ثلاثة عوامل تؤثر في الولد في صغره فتقوده اما الى النعيم واما الى الجحيم

اولها وأهمها في غرس المبادئ واثباتهـا هو البيت وأعني به كل ما هو داخل البيت وخارجـه من العوامل والفواعل التي تؤثر في الولد في حداثته كتصرف الأب والأم والاخوة والاخوات وطرق المعاملة بينهم الى غير ذلك مما لا نحتاج لذكره الآن

والعامل الثاني هو المدرسة فكل ما يجري بالمدرسة من تصرف المعلمين ومعاملتهم لتلاميذهم وسلوك التلاميذ مع بعضهم البعض وسياسة المدرسة نفسها كل هذه او بعضها معاً تؤثر في الولد أشد التأثير فلهـذا يختار في المدارس الراقية أفضل المعلمين صفاتٍ وآداباً وعلماً وتسنُّ القوانين والنظامات التي تؤول الى خير الولد علماً وأدباً

والعامل الثالث هو الدين ويراد بهِ مجموع التعاليم والفوائد الدينيـة التي يأخذها الانسان لنفسه دستوراً فيعيش سالكاً بموجبه

فالدين من أشد المؤثرات على الافعال وهو الضابط لكثير من الشرور والقبائح والمانع لضروب من المفسدات والجرائم

فان عجز البيت عن اتمام واجباته فُقِدَ أعظم العوامل في تربية الولد تقع اذ ذاك المسؤولية على اولياء الامور وقـد يعجز هؤلاء في اغلب الاحيان عن القيام باعباء ما يلقى اليهم من اتمـام واجبات آباء أهملوا شأن اولادهم . وقد رأينا ان الحكومة في الماضي كانت تعامل اولاداً كهؤلاء معاملة البالغين تماماً متغاضية عن البون الشاسع بين الفريقين . ولكنها قد أفاقت من غفلتها وسرى اليها حب السعي والاقدام والقيام بالواجب نست في هذه الايام لتخفيف ويلات الاحداث الغير البالغين فأصدرت لذلك في اكثر الممالك المتمدنة القوانين والنظامات بمنع تشغيل الحدث كالرجل لا سيما في المعامل والمعادن . فقامت عليها قيامة أصحاب المعامل والمعادن فاصلتهم حرباً عواناً دارت عليهم بهـا الدائرة . ولما رأت ان هذا لا يعدّ اصلاحاً تاماً عاودت الكرة فكانت هذه أشد من الاولى لانها عرفت أصل الفساد ومنبع الشرور فاعدت لذلك سبيلاً اذ أنشأت محاكم خصوصيـة للنظر في شؤون الاحداث وطرق اصلاحهم فكان ذلك من أجلّ ما فعلتهُ لاصلاح الاحداث

هذه هي المحاكم التي نحن بصددها الآن وسنأتي على تفصيلها وبيان احوالها في العدد الثاني ان شاء الله　　توفيق جريديني

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الرابعة

من مدام ركاميه الى السير رالف انزورث

(فى القرن الثامن عشر ولدت فرنسا للعالم نبوليون ابن المريخ ومدام ركاميه ابنة الزهرة . فاخضع الاول العالم بسيفه واخضعته الثانية بجمالها . واشتد النضال بين الاثنين . فبينما كان العالم يركع عند قدمى باريس كانت باريز تركع عند قدمى مدام ركاميه . واراد ذلك الجبار ان يتزوجها فرفضته لان مفتاح قلبها كان بيد شاب من اشراف الانكليز

ولم يكن نبوليون الرجل الوحيد الذى رفضته . فقد ذكر التاريخ من الذين تزاحموا عليها عدداً غير قليل منهم البرنس اوغسطوس البروسيانى والدوق ولنتون الانكليزى وغرندوق آخر عظيم وجمهور من الحكام والاشراف والعظماء ورجال السيف والقلم . فكانت ترفض الجميع على حد سواء لانها وهبت قلبها للشاب المذكور وقد كان سابقاً رئيس جمعية تألفت يومئذ من اشراف الانكليز لانقاذ الاشراف الفرنسويين من مخالب الثورة الفرنسوية

ولكن موانع حالت دون اقترانها بحبيبها فاقترنت بغيره مكرهة . وكان زواجها هذا ارتباطاً اسمياً فقط . ثم مات حبيبها بعيداً عنها ومات بعده زوجها ايضاً . وقيل ان نبوليون سبّب موت زوجها انتقاماً منها . على ان باريز كانت تفديها من غضب نبوليون ولهذا لم يستطع ان ينالها باذى . وبعد سنين قليلة نشأت مودة عظيمة بينها وبين شاتوبريان الكاتب الافرنسى الشهير فزعم الناس انها ستقترن به ولكن قلبها كان لا يزال متعلقاً بذكرى حبيبها القديم . وقد بقيت اربعاً وثلاثين سنة وعالم الجمال خاضع لسلطتها . وفى اثناء مرضها كتبت الرسالة الآتية الى السر انزورث ولكنها لم تستطع اكمالها فختمتها صديقتها مدام ستايل الكاتبة الافرنسية

الشهيرة وكانت من اعز صاحباتها . ولمدام ركاميه صورة شهيرة فى احد متاحف باريز الكبرى)

.

ملاكي الحارس :

جلست الآن الى نافذتي اراقب الافق وانظر الى الغيوم القطنية تنعكس عنها اشعة الشمس الحمراء . وقد هاج مرآها في نفسي عواطف وتذكارات رجعت بي الى ايامنا السالفة فأخذت القلم لاكتب اليك هذه السطور مع ان الطبيب قد نهاني عن الكتابة والمطالعة وأمرني بالتزام الراحة والسكون . ولكنني اشعر بشوق الى مخاطبتك ولو عن بعد واريد ان ابث اليك ما أبقتهُ الايام من آثار ذلك الحب القديم

لست اعلم اين انت يا رالف فقد طال عهد فراقنا حتى صرت أرى ايامنا الماضية اشبه بغمامة صيفٍ لاحت قليلاً ثم تلاشت في الفضاء . يقولون لي انك الآن في الهند حيث تتمتع بهواء أجف من هوائنا فان الفصل عندنا الخريف ومرأى الاغصان المجردة يثير في النفس لواعج محزنة . ولو كنت هنا لأحزنك مشهد الاشجار العارية والحقول المقفرة فان زقزقة العصفورة قد انقطعت وهديل الحمام قد بطل ولم يبقَ الاَّ خرير الماء يملأ الوادي كأ نهُ أنة عاشق منكسر القلب

وقد اذكرتني هذه الشمس الزائلة وقفتنا الأخيرة عند الغروب يوم اتيت لتعيد اليَّ رسائلي وتأخذ رسائلك لان أهلك وقفوا يومئذٍ بيننا وحالوا دون تحقيق احلامنا السعيدة

في ذمة الله تلك الايام الماضية ؛ في ذمة الله احلام غرام لم يبقَ

منها الأ ذكرى تتضاءل بمرور الايام . أيعود الماضي فيبعث لنا من اكفانه اماني دفنّاها فيهِ ؟ أيعود فيحيي لنا آمالاً كانت تظللنا باجنحتها الذهبية ؟ هوذا الآن قد انطوت تلك الاجنحة واستراح الرقباء الذين لم يكونوا يغمضون عنا أجفانهم حتى بلغوا من امانيهم ان فرّقوا بيننا فلا يعلم احدنا بمقر الآخر

بل ان مقرّك في فؤادي يا رالف . وانما فقدت فؤادي ففقدتك معهُ . وقد كنت اظللك بأجنحة الحب وارسل عليك أشعة الحب واسمعك أناشيد الحب فلم يبقَ اليوم من تلك الاجنحة الاَّ سحابة زائلة ومن تلك الاشعة الاَّ نور ضئيل ومن تلك الاناشيد الاَّ خفوق قلب منكسر

قضيت أشهر الصيف متقلبة على سرير المرض . وانا الآن في طور النقه . يقولون لي انني كنت اردد اسمك في ساعات غيبوبتي واذكر أيامنا الماضية . اما انا فلا اتذكر من ذلك سوى انني كنت كلما سمعت صوتاً بباب غرفتي ألتفت لأرى هل انت الداخل ام غيرك

كنت في اثناء مرضي اتعزّى بفكر غريب . كنت اعلل نفسي بالموت واتمنى ان انتقل الى عالم الارواح لكي تحلق روحي في فضاء الابدية فترفرف حولك وترقبك من علوها الشاهق . ولكن فكراً آخر كان يروعني فقد كنت اخشى ان يزيد موتي في حزنك فلا تعود ترى لذة في الحياة . ولكن من يعلم : لعل حبي لك غير حبك لي يا رالف . انا اعلم انك تفضلني في كل شيء . فأنت اشرف مني اصلاً واغنى ثروة واجمل طلعة واوسع جاهاً واكثر ذكاء . انت تفوقني في كل شيء . ولكن

هنالك شيئاً واحداً افوقك فيهِ وهو الحب . حبي لك مستمد من حب اللائكة فهو انقى من ندى الصباح وارق من خطرات النسيم وارسخ من راسيات الجبال واطول من مدى الخلود وابعد من حدود الابدية . حبي لك يريني للحياة معنى جديداً فيصوّرها لي ربيعاً مستمراً . ولكنهُ يخيفني من الخلود لان الخلود قصير المدى في نظر العاشقين

أجل يا رالف . كثيراً ما تمرّ بي دقائق تزيد في شقائي فأندم لأنني رضيت بالبعد عنك وأتمنى لو أبيت مفارقتك على رغم معارضة أهلك . ولكنني اعود فأتعزى بهذا الفكر وهو انني فعلت ذلك لكي اكفيك مؤونة الخلاف مع اهلك لانني اكره ان اكون السبب في ذلك

انا اميل اليوم الى الوحدة واجد فيها تسلية كبيرة لانني استطيع بها ان اتفرغ للتفكر فيك . هل تذكر كم كنتُ محبة للّهو والمرح ؟ واما اليوم فانني احب العزلة لانني اجد في هدوء الطبيعة عظة ابلغ من النطق ، واسمع من خلال سكوتها اناشيد « هلاّس » ذات القيثارة الذهبية فاتصوّرني مترامية بين ذراعيك احدق النظر فيك واسرّ اليك نغمات الغرام

لعلي أطلت هذه الرسالة عليك . ولكن قلبي مفعم بتذكارات تهيج في نفسي لواعج حزن وسرور وأنا اريد ان ابثك ما استطيع من مكنونات الفؤاد اذ من يدري هل أعود فأجد فرصة كهذه لمناجاتك ايها الحبيب ؟ ولكن الظلام قد أحدق فسأبقي هذه الرسالة الى الغد .

الى الغد . . .

. . . .

(بعد اسبوع)

مولاي . . . طلبت اليَّ « جان » ان اكمل هذه الرسالة وأبعث بها اليك فقد علمت عنوانك ولا شك انك تود الوقوف على خبر منها . مسكينة « جان » ! انها تحبك حتى الموت وتزدري العالم كله من اجلك . مضى عليها يومان وهي في غيبوبة لا تشعر معها بشيء وتراني جالسة الى سريرها اذرف العبرات ولكنني أتجلد قدامها وأتعلل بالآمال . قلت لها اول البارحة ان الطبيب شديد الأمل بشفائك فابتسمت ابتسامة ازدراء وأدارت رأسها على وسادتها كأنها تقول « أنا أخبر بنفسي من الطبيب » حقاً لو تراها اليوم لأدهشك كم قد غيّرها الزمان . ليتك تحضر وتشاهدها فلعل رؤيتك تعيد اليها شيئاً من الحياة . . .

(بقلم سليم عبد الاحد) مدام سنابل



الحرب اليونانية العثمانية

« موقعة دوموكوس [١] »

يوم ١٧ مايو (ايار) سنة ١٨٩٧

عند الساعة الرابعة من صبيحة هذا النهار نبّه البوق الجنود العثمانيين ، فهبوا من رقادهم ، وعكفوا على الصلاة ، فكان لهم لغط في غدر ذلك الوادي

(١) ا انتشبت الحرب اليونانية العثمانيـة سنة ١٨٩٧ كان « بيار ميل » Pierre Mille الصحافى الفرنساوى مندوب جريدة « الديبا » Débats فيها . وقد كتب فى وصف المعارك التى حدثت بين العثمانيين واليونانيين فصولا شائقة

الفسيح . ثم مالوا الى القهوة فكانوا يشربونها ، وهم يسرجون خيولهم ويحدثون ، فتبدل لغطهم حينئذٍ بضوضاء شديدة كان يخالطها ضجيج الفرح لشعورهم بأنهم كانوا يتأهبون في تلك الساعة للحرب والكفاح . اما أنا فسقت جوادي اريد اللحاق بفرقتي نشأت باشا وخيري باشا ، لاني كنت قد عقدت النية على ان لا أصف الا ما أراه بعيني ، ولا اكتب الا عن يقين

وكانت الى جانبنا الايمن طريق دوموكوس التي كنت مزمعاً ان اسلكها مجتازاً في ختامها تلة غير مرتفعة لا يكترث لها . على انه كان أمامنا في منحدر ذلك التل ممرّ وَعر ، ناشز الصخور ،

كثير الثلوم كأن الفتى اذا زلّ يهوي على مِبردِ

وكان هذا الممر الضيق ينتهي من الجانب الآخر بفرسالا وهو أقرب الطرق الى ذلك السهل ، ولكنه ليس بالسبيل الوحيد اليهِ لأن

اخترنا منها وصفه لمعركة « دوموكوس » فترجمناه بمناسبة شبوب الحرب الحاضرة فى طرابلس الغرب . والكاتب المذكور وُلد فى سنة ١٨٦٤ وكان مكاتباً لجريدة « الديبا » فى مداغسكر ابّان الثورة التى شبّت فى تلك الجزيرة سنة ١٨٩٦ . ثم انتدبته تلك الجريدة نفسها ليمشى فى صفوف العثمانيين فى الحرب اليونانية العثمانية . ثم اختارته جريدة الطان Le Temps المشهورة رئيساً لتحرير القسم السياسى الخاص بالمستعمرات فاقام فى هـذه الوظيفة من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩١١ وقد نال من حكومته نشان اللجيون دونور من رتبة شفاليه Chevalier de la Légion d'Honneur وله كتاب مشهور عنوانه « من تساليا الى كريت » De Thessalie en Crète ومؤلفات اخرى تدل على مكانته وفضله فى عالم الادب

هنالك طريقاً أخرى كان يمكننا ان نسلكها عن جانبنا الشمالي الأقصى وهي ممتدة من « فاليستينون » على مقربةٍ من الشاطىء البحري الى « خاليروس » من حيث تسهل مهاجمة « دوموكوس » ولكن من ورائها لا من أمامها مواجهةً . وكانت خطة الجيش العثماني ان يسير نشأت باشا والحاج خيري باشا بكتيبتيهما الأولى والثانية في الطريق الأولى الوعرة فيهاجمان دوموكوس من الامام، وان يمشي ممدوح باشا وحقي باشا بفرقتيهما الثالثة والرابعة متتبعين الطريق الاخرى فيهاجمانها من الوراء بحيث يطوّق العثمانيون دوموكوس ويلتفون حولها . اما أنا فاتبعت الفصيلتين الهاجمتين من الامام !

وصعدنا الى التلّ واجتزناه مسرعين حتى اذا دخلنا في الممرّ الضيق أبصرنا مسيل ماء ينحدر على الصخور الناتئة الى وادٍ، بينا هو يتسع أمامنا اذا بهِ يضيق كثيراً من الجنوب وقد اخضرّ زرعهُ وارتفعت فيهِ سنابل الشعير ارتفاعاً كثيراً عن الارض كانت تظهر لنا في وسطه ومن خلاله قبالة اطرافه العالية ، قرًى كبيرة تحيط بها تلك السهول الخضراء فتبين لنا كالجزُر في البحر . ومشى جنود خيري ونشأت في وسط تلك الزروع فاستولوا على أقرب القرى بدون ان يتكبدوا خسارة ما . وكان رجال المدفعية يطلقون القنابل من خلال سنابل الشعير العالية فلم نكن نستطيع ان نعلم قوة تأثيرها في العدو الا ساعة كانت تشب النار في مراميها ويصعد اللهيب الى العلاء ويبين لنا دخان القرى المحترقة كعمود منتصب في الفضاء . اما اليونانيون فاخذوا يطلقون علينا مدافعهم ولكننا

كنا نرى فرسانهم يحثون خيولهم هاربين مسرعين . ولم يكن يعبأ العثمانيون بنيران العدو بل كانوا يتقدمون الى الامام وهم لا يطلقون بنادقهم لان قنابل مدافعهم كانت تكفل لهم وحدها هزيمة اليونان

وكان هؤلاء قد تكاثر عددهم وتألبت جموعهم حينئذٍ ، غير ان المدافع العثمانية امطرتهم ناراً حامية فرأينا احدى كتائبهم قد نكصت على اعقابها وارتدت الى الوراء تريد الالتجاء الى دوموكوس . فكان ذلك بدء انهزامهم لاننا ما لبثنا ان رأينا فرقهم تتشتت عن شمالنا ، وتحرق القرى والدساكر في طريقها وهي فارّة لا تلوي على شيء . وتصاعد لهيب النار حينئذٍ الى عنان الجوّ ، وتلبد الدخان في الفضاء فذعرت الطير في اوكارها ، وروّعت اللقالق في اعشاشها فكنا نراها هاربة خائفة تمرّ فوق رؤوسنا مرور السهام أطلقت عن القوس

وكان العثمانيون يتقدمون بسرعة الى مواقف العدوّ حتى اصبحنا نرى الجيشين مرأى العين . وحينئذٍ انفصلت الفرقتان العثمانيتان فمشت فرقة نشأت باشا بقدم ثابتة في وسط السهل الى شبه تلة صخرية عالية ، وسارت فرقة الحاج خيري باشا الى الشمال . وكان اليونانيون قد تحصنوا خلف قمم من التراب أقاموها للاحتماء بها فاخذوا يطلقون نيرانهم من ورائها . ووقعت في تلك الساعة قنبلة على قيد خطوتين منا ولكنها لم تنفجر ولم تزحزح الكولونل « بوبي دلاتور » رئيس البعثة السويسرية الحربية الذي كان واقفاً الى جانبي فالتفت اليَّ وتبسم ابتساماً معنوياً ، ثم تناول علبة « طون » من جرابه وأشار اليَّ فتقدمت منهُ واقتسمناها

معاً . وهي منة له عليّ لن انساها أبد الدهر . ثم صعدنا الى التلة الصغيرة فاشرفنا منها على العسكرين وقد التقيا وجهاً لوجه . ولم تكن الا دقائق قليلة حتى شبت بينهما نيران معركة طاحنة . وكنا نسمع في الوقت نفسه دوي البارود ، ونرى تفجر القنابل من الجانب الآخر حيث كان قد سار خيري باشا برجاله

ولما طال أمد المعركة وقد صمت آذاننا ، وغشا الدخان عيوننا أبصرنا فريقاً من المشاة العثمانيين هاجماً على قلب العسكر اليوناني وقد أخذ اليونانيون يصوبون رصاصهم عليهِ وهو سائر غير مكترث . فما هي الأ هنيهة حتى تزحزح اليونان عن مراكزهم وارتدوا الى الوراء . وكانت طلقات البنادق المتواصلة حينئذٍ أشبه بقرقعة الآلة الكاتبة تكتب عليها يد خفيفة رشيقة

وحدقنا بابصارنا الى جهة اليونانيين فرأينا احدى الفرَق قد غادرت مركزها في القلب حيث هجم العثمانيون وولت الادبار منهزمة الى جهة دوموكوس . ولكن ضابطاً يونانياً خف اليها فردها الى مواقفها

اما فرقة الحاج خيري باشا فاننا لم نرها ولم نعرف اخبارها الا حين صرنا نرى اليونانيين يفرّون من قدامها من الجانب الايسر المحاذي للتل الذي كنا واقفين عليه . فتحققنا حينئذٍ ان النصر تمّ او كاد يتمّ للعثمانيين

وفي تلك الساعة وصلت الى ساحةِ القتال فرقتان لانجاد العثمانيين أرسلهما أدهم باشا فانضمتا الى خيري باشا وعززتا موقفه

وأبصرت ادهم باشا حينئذٍ راكباً جواداً صغيراً هزيلاً وهو رجل

ذكيُّ الفؤاد رزين بارد الطبع ، وقد تقدم منهُ احد الضباط طالباً اليهِ أن يصدر أوامره بالهجوم على الاعداء ولكنهُ لم يجاوبه بل تبسم ثم التفت الى ضابطين واقفين حذاءه فاسرَّ اليهما كلمتين فهمنا بعدئذٍ معناهما اذ أبصرنا فرقتي ممدوح باشا وحقي باشا قد ظهرتا للعيان وأتمتا حركة الالتفاف حول دوموكوس

وأصبح اليونانيون حينئذٍ تحت رحمة العثمانيين اذ طوَّقهم هؤلاء من الجهات الأربع . فلما تبينا هذه الحقيقة تقدم الملحق العسكري الالماني من أدهم باشا وقال له : « انك تستطيع يا حضرة القائد أن توجد في هذا المكان معركة « سيدان » Sedan أخرى فان اليونانيين كما ترى قد أُخذوا في الشبكة ولن يستطيعوا الانفلات منها » فسكت ادهم باشا ولم يكترث لما قيل له . فقلت في نفسي حينئذٍ ان هذه الحرب انما تجمع بين السياسة والحرب معاً . فالعثمانيون كما يخيَّل اليَّ لا يريدون التمادي في القساوة والضغط على اليونانيين لكيلا يثور عليهم الرأي العام في اوروبا والاَّ لكانوا قادرين ان يفعلوا اضعاف ما فعلوه



ولما أصبح الصباح التالي كان العثمانيون قد بلغوا منتهى آمالهم . وقد أشرفت طلائعهم على « لاميا » بلاد اليونان الحقيقية ، ووطنهم الاصلي القديم . وكان الألبانيون اولئك الشجعان الصناديد لا يزالون يطلقون بنادقهم على العدو الذي كان قد ربط في رؤوس بنادقهِ المناديل البيضاء كأنما كان يريد أن يقول : « رحماكم فان الصلح قد تمَّ »

هكذا انقضت هذه المعركة ، بل هكذا انقضت هذه الحرب التي لم تكن الاّ أشبه شيء بمأساة تمثيليـة مثّلت سهول فرسالا آخر فصولها المحزنة

بيار ميل
مكاتب جريدة « الديبا » الحربي

و بعد هذه التفاصيل المنقولة عن شاهد عياني نروي الابيات الآتية لشوقي بك من قصيدته العصماء التي وصف فيها تلك الحرب أبلغ وصف ، قال في الهزيمة :

ونادى منادٍ للهزيمـة في الملا — وان منادي الترك يدنو ويقربُ
فأعرض عن قواده الجند شارداً — وعلّمهُ قواده كيف يهربُ
وطـار الاهالي نافرين الى الفلا — مئين وآلافاً تهيم وتسربُ
نجوا بالنفوس الذاهلات وما نجوا — بغـير يدٍ صفرٍ واخرى تقلبُ
يسير على اشلاء والده الفتى — وينسى هناك المرضع الام والابُ
وتمضي السرايا واطئاتٍ بخيلها — أرامل تبكي او ثواكل تنـدب
فمن راجلٍ تهوي السنون برجله — ومن فارس تمشي النساء ويركبُ
يكادون من ذعرٍ تفرُّ ديارهم — وتنجو الرواسي لو حواهنّ مشعبُ
يكاد الثرى من تحتهم يلجُ الثرى — ويقضم بعضَ الارض بعضاً ويقضب
تكاد تمسُّ الارضَ مساًّ نعالهم — ولو وجدوا سبلاً الى الجوّ نكّبوا
هزيمة من لا هازم يستحثهُ — ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجبُ

الاستاذ مرغليوث



الاستاذ مرغليوث انكليزي ناطق بالضاد . . . فانه مستشرق تضلع من العربية وملك عنانها . ولا بدع فانه وقف عليها ذكاء خارقاً وعزيمة ماضية . فهو اليوم ملمٌّ بعلومها وآدابها الماماً قلما تسنى لغيره من المستشرقين

وهو يقيم في اكسفورد « مدينة العلم » وهي على نحو ٦٠ ميلاً من لندرا ، سكانها طلبة ، ومخازنها مكاتب ، وشوارعها حدائق . أهم مبانيها واقدمها ثلاثة وعشرون هي صروح العلم منذ القرن الرابع عشر ، اذ هي

المباني المتفرقة هنا وهناك التي تتألف منها جامعة اكسفورد الشهيرة . واستاذنا استاذ العربية في هذه الجامعة

زرته في بيته وخاطبته بالانكليزية فرد عليّ بالعربية ، وهو يتكلمها بكل طلاقة ويجيد الاسلوب العامي (الشامي والمصري) لانهُ زار القطرين غير مرة ومكث فيهما مدة طويلة . وهو معروف لدى جمهور من ادباء القطرين وعلمائهما وله منهم صفوة اخوان يجلهم ويجلونه

وهو رجل على علوّ قدره وسمو مكانته في عالم الادب متواضع ليّن الجانب ، يمدحه عارفوه ، وتعظمه افعاله . وقد ذكره لي زميله ارنولد [1] وقال « انه فرد نادر الذكاء » . فقد كان يفوز بقصب السبق على اقرانه مدة تلمذته بطولها ، وانه لذو مقدرة غريبة في درس اللغات واتقانها . فلتفتخر العربية بان مثل ذكائه ومقدرته موقوفان عليها دون سائر اللغات الشرقية

اما ما يجيئه الآن من خدمة هذه اللغة « المظلومة » فهو طبع كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي . فان لديه النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب . وقد أراني الجزء الذي تم طبعه فرأيته حافلاً بالشروح والتفاسير التي تشهد له بسعة الاطلاع وطول الباع في علوم اللغة وآدابها

وقد ظهر له مؤخراً كتاب جليل في الاسلام كنت قد طالعته قبل التشرف بمقابلته ، فحدثتني نفسي بنقله الى العربية لما وجدت في فصوله من الاحصاآت والحقائق التاريخية والابحاث الفلسفية والسياسية مما يهم

(١) وهو أحد المستشرقين وسننشر رسمه في عدد تال

الاطلاع عليه كلّ متصدٍّ للبحث والكتابة في الشؤون العربية والاسلامية على الاطلاق . وهو سفر مختصر بحث فيهِ عن ماضي الاسلام وحاضره من أوجه الدين والامة والدولة جميعاً بحثاً دقيقاً متحاشياً فيه ذكر كل ما يجرح الاحساسات ، ومقتصراً على ايراد الحقائق وارداف النتائج باسبابها

وقد طلبت اليهِ ان يتحف « الزهور » برسمه الكريم وبنفثة من يراعه العربي ، فتفضل بقبول متمناي وبعث اليَّ الى لندن بالرسم وقد وقَّع اسمه عليه بيده ، وبالجملة التالية وقد كتبها بقلمه البليغ وديع البستاني

مذهب المستشرقين

ذكر صاحب الفخرى في اخبار امير المؤمنين عبد الملك ان مذهب المستعربين اخترع في عصره وهو يريد بهم رجالاً من الاجانب اتخذوا اللغة العربية لغة وتزيوا بآداب العرب . وقياساً على تلك الكلمة وُضع في ايامنا اسم المستشرقين تسمية لمن ينتمي الى علوم الشرق من أهل الغرب لا كالذين يشير اليهم المتنبي بقوله

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه

فان فيهم أُناساً لا يُطعن في أهليتهم ، وانما تركوا جادة طريقة أصحابهم لاسباب نريد ان نبينها لمن ذهبت عنهُ او خفيت عليه . فأول داعية دعت قوماً من علماء الافرنج الى اكتساب العلوم الشرقية هي الديانة . فان التوراة اساس أُسّس عليه الدين المسيحي ولغتها الاصلية عبرانية تختص باليهود الذين مع حفظهم لكتابهم المقدس وتعبدهم بفروضه

لم يهتدوا الى تبويب وتدوين قواعدها وقوانينها الاّ بعد توطئة نوابغ نحويي الاسلام للطريق . وبعد ما ألف سيبويه كتابه وجمع ابو عبيد غريبه ورتب الراغب مفرداته حملت بعض اساتذة اليهود الغيرة على الاقتداء بهم . وقد سهل ذلك عليهم ما بين اللغتين من التقارب والتشابه فلما استهل عند الافرنج قمر المعارف صار لاهوتيوهم يأخذون من علماء اليهود تفسير التوراة . وبتقفية الآثار تدرجوا الى الموارد العربية فاصبح كل من يرغب في الوقوف على حقائق معاني التوراة طالباً للعربية لا يستغني عن طرف منها . فالسبب الاصلي في تأسيس استاذيات اللغة العربية عند الافرنج هو ديني صرف اضيف اليهِ ما كان اشتهر من حذق اطباء العرب وحكمائهم ومنجميهم وانه لم يزل عندهم متون أئمة اليونان القدماء وشروحها وكان طلبة الطب عندنا قبل ٢٥٠ سنة يضطرون الى حضور دروس مدرّس العربية . ثم عندما بلغت حرية الافكار ما بلغت وانتجت علوم جديدة تنقر عن الانسان من حيث هو انسان وتبحث عن مصادر السياسات والاديان وتاريخ الممالك والبلدان واختلاف الانواع باختلاف الزمان والمكان لم يخفَ على المتبحرين في هذه العلوم اتساع الممالك الاسلامية وعظم ما تشتمل عليهِ من المواد اللازمة لاشغالهم من آثار متواترة وعوائد غير مخل بها ومذاهب متشعبة وطرائق متفاوتة فازدادوا رغبة في الحصول على الآلات التي تمكنهم من الاكتشاف عن خفايا التاريخ وهؤلاء لا بد لهم من الاستشراق

مرغليوث

في حدائق العرب

الحرب

الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر . ولكلّ شيء من هذه ثمرة : فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقامٍ مقال ، ولكل زمانٍ رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها ابلغ من القتال

قال عُمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب : « صف لنا الحرب » قال : « مُرّة المذاق اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عُرف ، ومن نكل عنها تلف ، ثمَّ انشأ يقول :

الحربُ اول ما تكون فتية　　　تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتى اذا حميت وشبَّ ضرامها　　　عادت عجوزاً غير ذات حَليلِ
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت　　　مكروهةً للشمّ والتقبيلِ

وقال عنترة الفوارس : اول الحرب شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى

وقال نصر بن سيار ، صاحب خَراسان ، يصف مبتدأ الحرب :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ نارٍ　　　ويوشك أن يكونَ لها ضرامُ
فان النارَ بالعودين تذكى　　　وان الحربَ اولها كلامُ

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني

ومن اقوالهم : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة

وقال هشام بن عبد الملك لأخيهِ مسلمة : هل دخلك ذعرٌ قط لحربٍ او عدو ؟ — قال : ما سلمتُ من ذعرٍ نبهني الى حيلة ، ولم يغشني ذعرٌ سلبني رأيي . — قال هشام : هذه والله البسالة

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرت استبقي الحياةَ فلم اجد　　لنفسي حياةً مثل ان أتقدما

وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة في الحرب ، فانها ابلغ من النجدة

وسئل اهل التمرين بالحرب : اي المكايد فيها احزم ؟ — قال : اذكاء العيون ، وافشاء الغلبة ، واستطلاع الاخبار ، واظهار السرور ، وامانة الفرق ، والاحتراس من المكايد الباطنة من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستغشٍ ، واشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزراً وكلموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً

وكان أبو مسلم يقول لقواده : اشعروا قلوبكم الجرأة ، فانها من اسباب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب

وكانوا يتمادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ، ويقولون فيهِ « مات فلان حتف انفه » . ولما بلغ عبد الله بن الزبير مقتل أخيه قال : ان يقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قطعاً باطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف ، ومن ذلك قول السموأل : وما مات منا سيدٌ حتف انفه

في رياض الشعر

أمين بك ناصر الدين

رئيس تحرير جريدة الصفاء



صاحب هذا الرسم هو صاحب تلك القصائد الجميلة التي نشرتها «الزهور» في بعض أعدادها السابقة، والتي ما برحت تنشر منها الى اليوم ما توفقت اليهِ. وهو الشاعر الذي قلنا عنهُ يوم نقلنا لقرائنا قصيدته «شاعر يناجي صورة» انهُ معروف في سوريا ولبنان ومجهول في مصر،

ووعدنا حينئذٍ بتمثيل رسمه على احدى صفحات « الزهور » لنجمع بين صورتيهِ المعنوية والشخصية . ولقد سرَّنا ان فريقاً كبيراً من الادباء أُعجب بشعر هذا الشاعر المجيد ، وهو ما توقعناه من قبل ، فكتب الينا يسألنا عنهُ ، ويلحّ علينا بنشر ترجمته الى جانب رسمه ، فخاطبناه في ذلك فبعث الينا حضرته بالكلمة التالية فلم نرَ خيراً من نشرها كما هي . قال :

« طلبت اليَّ كلمة تعرفني الى القراء . فان أردت تلك الكلمة عن منتماي فهو الى الشيخ بدر الدين الذي كانت بينهُ وبين الامراء المعنيين صلة قربى . وهذا الجد الاعلى رزقهُ الله عدة ابناء منهم ناصر الدين الذي نسبت اليهِ اسرتنا . كان بدر الدين يقطن عين داره [1] وتوفاه الله فيها وبها قبره الى الآن . ثم طرأت بعد موته حوادث صدعت شمل ابنائه فانتحى كل منهم ناحية . وكان ان اتخذ ناصر الدين كفرمتّى [2] وطناً له

وان أردتها عن مولدي فقد كان في شهر محرم الحرام من سنة ١٢٩٧ هجرية . فعمري الآن اثنتان وثلاثون سنة . وأشهر حوادث حداثتي اني كنت أقول ابياتاً من الشعر قبل ان تعلمت القراءة والخط فكان والدي يكتبها لي ، ويصحح لغتها دون وزنها . ومرةً بعثت الى المرحوم الشيخ خليل اليازجي ، وكان مصطافاً في عبيه ، ببيتين من شعري الصبياني فسرَّ بهما كثيراً وأجابني عليهما بهذه الابيات :

انت الصغير الكبير النفس منتسباً بها لاسلافك الشم العرانينِ

(١) قرية في جبل لبنان على ساعة من صوفر (٢) قرية في جبل لبنان على مقربة من عبَيه ، وعلى ساعة من عاليه واربع ساعات من بيروت

هلال سعد نرجي منه بدر سناً يلوح في افق باليمن مقرونِ
غالبت فن القريض المستطاب وقد غلبته بانتصار منك ميمونِ
منه لك الامن والنصر المبين ولا بدع فانت أمينٌ ناصر الدينِ

ولم تزل الرقعة المكتوبة فيها هذه الابيات محفوظة عندي وهي بخط الناظم رحمهُ الله

وبعد ان تعلمت القراءة والخط درست مبادئ النحو والصرف والبيان والبديع والعروض على بعض الاساتذة ثم عكفت على المطالعة، واستظهرت من اقوال البلغاء، وخصوصاً الشعراء منهم ما يصح ان أقول انه كثير

وفي سنة ١٨٩٩ ميلادية أعدت نشر جريدة الصفاء وذلك اول عهدي بالصحافة فحررت فيها نحو أربعة اعوام مع تدريس اللغة العربية في مدرسة عبيه الداودية . ثم أسس والدي مدرسة المعارف في عام ١٩٠٥ فتسلمتُ ادارتها مع تدريس العربية فيها ولم أكن أنفك عن المطالعة

وفي سنة ١٩٠٨ أعدت نشر جريدة الصفاء ولا أزال أكتب فيها الى الآن »

***

هذه كلمة الشاعر عن نفسهِ . أما كلمتنا عنهُ فقد أغنانا عن قولها ما نشرناه لحضرته من القصائد الرائقة في ما مرَّ ، ونحن على يقين ان قرّاء « الزهور » قد قدروها قدرها ، وأنزلوها المنزلة التي تستحقها بين جيد الشعر وأطايبه . وان في النفثة التي نحن ناشروها له اليوم ما يصح ان يكون دليلاً ساطعاً على فضله وأدبه :

﴿ صدى اليأس ﴾

آثرَ الدهرُ ان أعيشَ كئيبا بين قومي وفي بلادي غريبا
تنتحي قلبيَ الهمومُ دراكاً والىَّ الخطوبُ تزجي الخطوبا
حسبَ الدهرُ أنني من جمادٍ فرماني بالنائبات ضروبا
غير أنَّ الارزاء ما أفقدتني جَلَدًا راسخاً وعوداً صليبا

* * *

ضاع رأيي في من أرى حين أمست ألسنُ الناسِ لا تطيعُ القلوبا
تارةً أحسبُ الحبيبَ بغيضاً وزماناً أرى البغيضَ حبيبا
كم رأيت ابتسامةً فوقَ ثغرٍ ثم عادت من بعد ذاك قطوبا
ولكم بتُّ راضياً عن أناسٍ حين أصبحتُ غادروني غضوبا
ولكم قد وثقت بالبعض لكن قد أبى الخُبْرُ ان اكون مصيبا
ينتحيني الأنامُ من غير داعٍ ومتى أدعُ لا ألاقِ مجيبا
يحسبون الجميل اسوأ صُنعٍ والسجايا المكملاتِ عيوبا

* * *

ودَّ غيري دوامَ عصرِ شبابٍ بينما جئت استحثُّ المشيبا
حبذا الشيبُ في دجى الشعر صبحاً منبئاً أنَّ للحياة غروبا
لا تظننَّ ان في العيش طيباً ضلَّ من ظنَّ في الخبائث طيبا
وكفى بالشقاء طلقَ لسان عن خطوب الحياة قام خطيبا

* * *

أرقبُ النجمَ في الدياجي وما من وَلهٍ بتُّ للنجوم رقيبا
غير أني أرى لهنَّ خفوقاً كفؤادٍ يحيي الظلامَ طروبا
ويزيد النسيمُ قلبيَ حرًّا مثل نار بالريح زادت لهيبا

وإذا ما رأيت إشراقَ شمسٍ قلت يا ليتهُ يعودُ مغيبا
انَّ ستر الظلام يحجب عني كل شيءٍ أريده محجوبا

***

يا هزارَ الاراكِ انك أوفى في الملذات من سواك نصيبا
أنت تشدو على الغصون سروراً وأنا أجعل القريضَ نحيبا
أنت تبغي البقاء في ظلّ دوحٍ وأنا أبتغي الفناء القريبا
لك في الطير أوفياء واني لم أجد في الأنام إلاّ مريبا
يا هزارَ الاراك لو كنتَ مثلي لاستحال الصداحُ منكَ نعيبا
ليس من طبعي الكآبة لكن آثرَ الدهرُ ان أعيش كئيبا

امين ناصر الدين

❋ حقائق ❋

سألتك يا ربّ بالانبياء وبالمصطفين وبالاتقياء
وبالمنزلات وبالمعجزات وبالارض والبحر ثمَّ السماء
تمنّ عليَّ بصبر جميل اذا المرء ضاق عليهِ الفضاء
فكم قد صبرتُ على ما ألاقي فلم يجدني الصبر غير العناء
تمنيت لو لم تلدني الولود جزاها المهيمن خير الجزاء
تمنيت لو ثكلتني رضيعاً فلم أتغذَّ بهذا الهواء
أرى أنفساً كان خيراً لها الـ ـقتل تعلو علوًّا رفيع البناء
وأخرى لها شيم المرسلين تضام وقد نال منها العياء
أرى جاهلاً يتخطى الرقاب أرى عالماً نال منهُ الشقاء
أرى الصدق في النزع والصادقين تولى عذابهمو الادعياء

أرى النـاس بعضاً لبعض عدواً　نسوا أنهم خلقوا للفنـاء
تراه تظن الصديق الحميم　وان رحت فهو شديد العداء
وتلقـاه يقسم بابن البتول　ونسل الذبيح وحق الولاء
بأن عرى الودّ حبـل متين　غدائره من خيوط الاخاء
أدر شطر وجهك عنـهُ قليلاً　يقطع حبـال الاخا والرجاء
تبـاركت يا رب هـذي الذئاب　أضرُّ على النـاس من وطأة الداء
عقارب تلدغ من يلتقيهـا　أفاعٍ تعض فكيف الشفاء
اذا كان يرضيك هذا فزدنا　والاّ فعجـل بمنح الدواء
فأني وحقـك أقسم صدقاً　بأن الفـاد سرى في الدماء
وإنا نرى اللؤم رأي العيـان　ونلمس بالكف جسم الرياء

عطبره (السودان)　محمد فاضل

﴿ الشرق والغرب ﴾

ايه يا برق العدى كن خلبـا　أوشك المشرق يحكي المغربا
غلبتهُ في قواه خدعة　فاحذروا كيد قويّ غُلِبا
يتسامى للعلا لا راهباً　فاذا صادف موتاً ركبـا
حاولوا ان تحجب الشمسُ بهِ　ليتهم ما حاولوا ان تحجبـا
كلمـا مدُّوا اليهـا طنبـا　قرَّبوا للنـار ذاك الطنبا
ربَّ شعب أيقظتهُ رقدة　فرأى الراحة كانت تعبـا
درَّ درُّ الجهل والنوم معـاً　أعقبا بعـدهما ما أعقبـا
ربَّ طير أسقطتهُ ذروة　فسما عنهـا فكانت سببـا
يا نؤوساً في ربى النيـل رأت　عزَّها في عزّ هاتيك الربى

رائحات كل يوم برضى غاديات كل يوم بنبا
كلما طار صدى ما بينها أهَبَ الناس اليهِ موكبا
يا أوليها ذلَّل الله لكم من أساليب المنى ما صعَّبا
كلأ الله رجالاً كلأوا أرضهم حتى قضوا ما وجبا
سطَّروا ما أضمروا في صفحة اعجبوا فيها فكانت أعجبا
حاول الجبار ان يقرأها فرأى في كل حرفٍ عقربا
فبكى كالطفل عيناً وفماً وطواها فضحكنا عجبا
ويكَ يا غربُ اتقِ الشرق فلم تحتمل غيظ حليم غضبا
قوَّةٌ كالنار لو جاوزها نفَسُ المطفىء زادت لهبا
او كأمواه ترامت من علٍ كلما صُودرن زادت صَبَبَا
لا وايم الله ما كانت وهت رب ذي بأس تواهى رغبا
كم قلوب يتمارضنَ هوى لترى من قد سلا ممن صبا
ضيعة كانت . فولت . فانثنت كم ضياع رُدَّ لما سلبا
في يمين الشرق تجري زبدا ويمين الغرب تجري ذهبا
فالمحات الخير بآسم الله ما شاء لا يسأل عما وهبا
أخلقُ الناس بنعمى ربه مخاص لله فيما طلبا

* * *

يا رجالاً لفتوا الدهر لهم فتى أملوا عليهِ كتبا
رب قول في دم المرء جرى وحسام في يد المرء نبا
لا سقى الغيث ثرى مصر اذا هو لم ينبت رجالاً نجبا
أنفساً طابوا وقرّوا أعيناً وعلا زادوا وطالوا حسبا

عبد الحليم المصري

﴿ أين فؤاده ﴾

أهذا الذي جنبَ الحشا إسمهُ القلبُ أمِ القلبُ حيثُ الصبُّ مهجتهُ تصبو؟
وذاكَ الذي سمّاه أهلُ الهوى جوًى أهــذا الذي لا تستقرُّ بهِ جنبُ؟
وتلكَ السيوفُ النـاقاتُ على الحشا أم المقـلةُ النجلاءُ أرهفهـا الهدبُ؟
اذا سئل الانسانُ أين فؤادهُ فأيُّ جوابٍ للذي ما لهُ قلبُ؟

رشيد نخله

﴿ الفلّ ﴾

زانت الرأسَ بفلٍّ هو بالرأس تحلّى
ما رأتْ قبلكِ عيني وردةً تحملُ فلاّ

خليل مطران

﴿ اصابع العاج ﴾

ليس « البيانو » الذي باتت تكهربهُ يداكِ أطوعَ من قلبي وافكاري
لمستهِ فتمشى السحرُ بي فكما تهتزُّ أوتارُه تهتزُّ أوتاري
أصابع العاج هذي تلعبين بهـا أم تلعبينَ بأسمـاعٍ وأبصارِ

الدكتور نقولا فياض

﴿ دمعان متشابهان ﴾

رأيت كتابهـا فقرأت فيهِ شكاياتٍ ألذّ من الثنـاء
فقلت فؤادها يحكي فؤادي لذاك بكاؤها يحكي بكائي

ولي الدين يكن

حلب الشهباء

موقعها — قدمها — اصل اسمها

ما نحن من يصف قدرها الخطير ومحلها الاثير[١] او يطنب في بسيطها المشهور وما تجده النفس فيهِ من الانبساط والسرور[٢] ولا من يتغزل بظلها الضافي ومائها الصافي وسعدها الوافي وانوارها المشرقة وازهارها المونقة واشجارها المثمرة المورقة[٣] ولا من يقف على اطلالها فيندب كبار رجالها ويبكي منازلها ودیارها وينعي سكانها وعمارها[٤] ولا بالنتيجة من يجدها من (الشام) الواسطة من العقد والقلب من الصدر والانسان من العين[٥] الى ما اشبه هذه من ألفاظ مبتذلة وفواصل باردة وقفت عندها البدائه فلاكتها الألسن وتداولتها الأقلام دهراً طويلاً فما زادت هذه المدينة تعريفاً ولا اجدت في حقيقه حالها شيئاً مذكوراً

وانما نضرب عن ذلك كله لقلة فائدته الى ان حلب مدينة عهيدة دالت بها الاحوال والدول بين العزة والذل والقوة والضعف والرفعة والانحطاط شأن سائر بلاد الله العديدة فكان لها في غالب الاحيان من الاسباب والوسائل ما تدرجت معهُ في مراقي العمران والحضارة وأصابت

(١) ابن جبير فى رحلته المعروفة (٢) ابن بطوطة فى رحلتـه المشهورة
(٣) ابن احمد المهلبي فى كتـابه المسالك والممالك (٤) ابن جبير وابن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار (٥) ابن شداد فى اعلاقه الخطيرة وابن الشحنة فى دره المنتخب

من زمن بعيد من الخطورة والأهمية ما جعلها من امهات البلاد السورية على ما هو مقرر بالاجماع

وجل ما نذكره في هذه النبذة موقعها وقدمها وشعوبها ومشاهيرها ومرافقها وما يتصل بها من احوالها مستندين فيها الى أوثق المصادر وأثبت الآثار فعسى ان تصادف قبولاً عند القراء الكرام

ان حلب واقعة في جوف بعيد الاكناف والاطراف في جهة سورية الشمالية وتبعد عن البحر المتوسط ٧٠ ميلاً او ١٥٠ كيلومتراً وهي في درجة ٢٥َ ١١ً ٣٦ْ من العرض الشمالي و ٩َ ٣٧ْ من الطول الشرقي على ما قاله فانديك في مرآته الوضية

تتوسد جوفها المطمئن الى رياض وبساتين نضرة وسهول واسعة خصيبة يكتنفها ربى وتلال مجدبة قاحلة كما هو الغالب في جبال سورية ويجري الى جانبها نهر قويق الذي دعاه كزينوفون (خالسن) ويعزى الآن الى قويق آغا الذي اصلحه وكان يلقبهُ أهل الخلاعة (بابي الحسن)

ولا تبدو حلب للمسافر الا عن كثب فيراها متراصة مركومة بعضها فوق بعض . واول ما يشاهده منها قلعتها المشهورة ومناور جوامعها ومآذن مساجدها وقباب كنائسها العظيمة ومنازلها الكبيرة وبين شهبة أبنيتها وخضرة بساتينها وحمرة رباها مشاهد رائعة ومناظر فاتنة تدهش الابصار وتأخذ بمجامع القلوب

وكانت المدينة محاطة بالاسوار فلا يؤذن في البناء خارجاً عنها حتى ضاقت على أهلها في اواخر القرن الثالث عشر فشرعوا يشيدون من

حولها حارات بانقوسا والاكراد والهزازة والجديدة والمشارقة والكلاسة وما اشبـه . وفي اواخر العصر الماضي أخذوا يبنون ايضاً احياء الجميليـة والعزيزيه والتلل والسليمانية والنيال والحميدية وما يتصل بهـا حتى كاد البنيان الحديث يعادل القديم

واما حاراتها القديمة فحسنة على الجملة وأسواقها مرصوفة وأزقتها ضيقة وبيوتها مبنية من الحجر الابيض وتشابه دور دمشق واما احياؤها الحديثة فبالغة حد الاتقان وأبنيتها متقنة الهندسة وشوارعهـا مرصوفة الجوانب على طرز المدن المستحدثة وأطول طرقها واوسعها طريق الخندق الذي مده رئيف باشا من دار الحكومة الى محلة الجميلية

وشرب أهلها من آبار نابعة ومن صهاريج تجتمع فيها مياه الامطار ومن قناتها التي تجري اليهـا من جيلان على مسافة ثلاث ساعات شمالاً وتتفرع في القني الى الدور والمساجد والخانات والحمامات والقساطل ويقال ان هيلانة ام قسطنطين الكبير هي التي جرتهـا الى الكنيسة العظمى فعرفت بها ولا ريب في ان ماء حلب عذب فرات

وشتاؤها معتدل تشتد نوافحه في شهري كانون الاول والثـاني وتكثر فيهما الأمطار والثلوج واما صيفها فليست وغرته بمفرطة ولو تصاعد فيها الى الـ ٤٠ درجة من المقياس المئوي وذلك لنشف هوائها وهبوب الريح الغربية عليها في حمارة قيظها فتلطف اوارها وترطب هواءهـا في معظم ساعات النهار . ولهذا ترى حلب طيبة السكنى معتدلة الجوّ تصح به الاجسام

ولكن لا بد لاهلها دائماً وللغرباء نادراً من ظهور بثرة او خراجة تسمى حبة حلب او حبة السنة لا تبرأ قبل سنة من ظهورها وليس لها علاج خصوصي يعول عليه في معالجتها . وقيل ان سببها من الماء وقيل بل انه من المناخ او الهوام لانها لا تظهر الا في المحال المكشوفة من البدن كالوجه واليدين والرجلين وهي توجد ايضاً في عين تاب وعلى شطوط الفرات الى بغداد

وهي المدينة السورية الوحيدة التي حافظت على مزاياها الشرقية البحتة من حيث البناء والعيش وعادات السكان وجودة الطباع الى اشباهها مما فقد من غالب البلاد السورية فلا عجب ان راقت هذه المدينة في أعين السياح لانها تذكرهم في القرن العشرين بمزايا المدن الكبرى التي عمرها العرب في القرون الوسطى وأودعوا أخبارها ومفاخرها بطون تواريخهم المعروفة

قال كتبة العرب [١] : ان اسم حلب عربي لا شك فيهِ وهو لقب لتل القلعة . فكان ابرهيم (عم) اذا اشمل من الارض المقدسة ينتهي الى هذا التل . . . فكان يأمر الرعاة بحلب ما معهم طرفي النهار . . . يتصدق به على الضعفاء والمساكين فينادي الضعفاء : (ابرهيم حلب ابرهيم حلب) فيبادرون اليهِ . وغلبت هذه اللفظة لطول الزمان على التل كما غلب غيرها من الاسماء على ما هو مسمى به فصار علماً بالغلبة

واول من تنبه لهذا الوهم ياقوت الحموي [٢] فقال : وهذا فيهِ نظر

(١) ابن شداد فى كتابه الاعلاق الخطيرة فى امراء الشام والجزيرة

(٢) معجم البلدان مج ٢ ص ٣٠٤

لان ابرهيم (عم) وأهل الشام في ايامه لم يكونوا عرباً . انما العربيـة في ولد ابنه اسماعيل (عم) وقحطان . . . فان كان لهـذه اللفظة أعني حلب أصل في العبرانية او السريانية جاز ذلك لان كثيراً من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقهُ الا بعجمة يسيرة كقولهم : (كُهنم في جهنم)

والصواب انها (حلبون) بتر العرب علامـة الاعراب من آخرها فصارت (حلب) كما فعلوا بانجيل من اونجيليون و بطريق من بطريقيوس وبطرك من بطريركا او فطريركيس وما أشبه . قال السيد يوسف داود[1] انها سريانية بمعنى (الخصوبة او الصفوة) وأثبت الاب انستاس الكرملي[2] انها ساميّة الاصل بمقتضى الاشتقاق اللغوي ومعناها (المدينة الخصبة الارض المكتنزة التراب الدسمتهُ العلكته) وصار الاديب يوسف اليان سركيس[3] الى ان أصل اسمها ارامي ومعناه (اللبن او البيـاض) وعندي انه لا ينجلي اصل اسمها ومعناه الا بعـد الكشف عن كتابات الحثيين وآثارهم

وحلب قديمة العهد رقاها مؤرخو العرب الى زمن ارتحال ابرهيم من ادر وحران الى ارض كنعان على ما يظهر من الرواية السابق ذكرهـا وذهب كثير من المؤرخين الى انها حلبون التي ذكرها حزقيال[4] وكالبون التي ذكرها استرابون وبتولماي . وقال بعض أهل التحقيق والسياحة بل هذه حلبون احدى قرى دمشق المشهورة بخمرها وزعم

(١) النصارى ص ٢٣ (٢) المشرق ١٠ : ٩٦٩ . (٣) الدر المنتخب ص ٢٨ (٤) نبوّة حزقيال ٢٨ : ١٨

ابن العبري ان بانيها بحوس ملك اشور[١] ووهم قوم ان بانيها نمرود اول ملوك بابل وكل هذا يقتضي له من اعمال النظر ما لا يسعه صدر هذه المقالة

وما لا شبهة فيه ان حلب كانت مدينة عامرة في المئة الرابعة عشرة قبل الميلاد كما يظهر من كتابة مصرية ترتقي الى عهد رعمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشرة وصف فيها عامل مصري رحلتـه الى شمالي سورية وذكر في اثنائها (خلبو) اي حلب مرات . وقد نظر هذه الرحلة شباس العالم معلقاً عليها بعض الشروح

ولا يمتري احد الآن فيما يرجحه الاكثرون من ان بناة حلب هم الحثيون الشماليون وقد كانوا شعباً قوياً نشيطاً نزلوا على سورية الشماليـة فعمروها وتغلغلوا في اطرافهـا في عهد فتوحات ملوك مصر الفراعنة التي توالت على سورية من القرن السابع عشر الى الرابع عشر قبـل المسيح وما تركه هؤلاء الحثيون من الكتابات والآثار والرسوم في نواحي حلب وحمص وحماه أسطع دليل على ذلك الترجيح

ولما غشي رعمسيس الثاني سورية بجحافله الجرارة لقتال موتنار ملك الحثيين بسبب نقضه شروط المحالفة التي عقدها مع سلفه ساتي الاول كان ملك خلبو (حلب) الى جانب موتنار وتحت قيادته ثمانية عشر ألف جندي فجرت وقعة هائلة على اسوار قادس دارت فيها الدوائر على الحثيين فتفرقت صفوفهم طرائق وهرب موتنار وغرق ملك حلب في جملة من غرقوا في نهر العاصي وفي صورة هذه الواقعة المنقوشة على هيكل الاقصر

(١) مختصر الدول ص ٣٨

يُرى ملك حلب مستخرجاً من النهر ومعلقاً برجليه يتدفق من فيـهِ ما كان يظن انه ابتلعه من الماء

القس جرجس منش

﴿ المعلوم والمجهول ﴾

صدر منذ عامين الجزء الاول من هـذا الكتاب لمؤلفهِ الكاتب والشاعر الشهير ولي الدين بك يكن ، فكان له رواجٌ كبير بين القراء . ثم فرغ حضرته الآن من وضع الجزء الثاني من هذا المؤلَّف وهو صادر بعد بضعة ايام من مطبعة المعارف . وتيسر لنا أن نطالعه فنقدم لقراء « الزهور » شيئاً منه قبل سواهم . فاقتطفنا منه وداع المؤلف للاستانة وذكر سفره منها يوم نُفي الى سيواس :

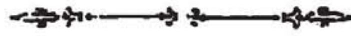
يممت فروق مدعواً ونزحت عنها مجفواً . فلا الدعوة أبطرتني ولا الجفوة كفرتني . وما زلت من لدن وطئت مهادها وعلات انهارها وشممت طيبها ورعيت كواكبها صادق الود . مخلصاً في السر والجهر . وما فروق الا وطن ميلادي استهلت فيها حياتي ونما في ارضها عودي . بذلت لها روحي ولا أمن بها ومنحتها آمالي ولا أدل بها . وكانت شقوة فغلبت على أمري ، ونزعت عنها نزوع الصب عن موطن صبابته . . . .

على ظهر قصر سابح . في لجج البسفور . بين شطي اوروبا وآسيا . من الوطن المحبب الى غاية مجهولة . فراق أهل وولد . من غير توديع ولا تسليم . كل ذلك تحت ليل كأنه ظل الشقاء وسماء كخاطر الواله . في حيث تتراءى تفاريق نور على البيوت كبسمات ارواح المظلومين من وراء حجب الوجود . لقد كنت شاعراً في ظلمك يا عبد الحميد . . . .

واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الاعين على احسن منهما . شطي آسيا واوروبا . يتناغيان بالمصابيح . عاشقان ضنت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما ام مرَّا بنا . لا أعلم . صحائف أجاد الحسن فيها منمقه . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم . فرائيها متخيل وعارفها متوهم . ما شك ناظر الى السماء واليها ان تلك كواكب سقطت عليها . عهدي بها في حالتيها . بينا هي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلة عندليب . تتجاور بها مسارح آرام ومصارع كرام . تسقى من ماء معين ومن دم مهراق . تطالعها وجوه ضاحكة واخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتى وآونة مصيف وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم . فتنتني يوم لقائها وتوشك ان تفضحني يوم فراقها . فروق يا ظلوم . خذي روحي فما هبطت عليَّ الا فيكِ واسترجعي من انحاء الفضاء متفرقات انفاسي . أنتِ أولى بحسراتي منه . استبقي لي خاطراً احييكِ به وشعراً أنوح به عند فراقكِ . يا نعيمي الماضي وشقائي الحاضر . ألا يضطرب ماء هذا الخليج مجاراة لجوانحي . وددت لو ان ارتطم عبابه وترامت امواجه وأغرقتنا قبل ان نجتاز ربوعكِ . كان بكِ مهدي . واريد ان يكون بكِ لحدي . هنيئاً يومئذٍ لحوتكِ ونونكِ ما ابقت الايام من لحم على وضم . ولتتصرف رياحكِ بأخريات انفاسي ولترنَّ في ارجائكِ نوحاتي . الوداع الوداع يا فروق . وسلام الله عليكِ وعلى بنيكِ كلهم . هذا طريد جديد . مظلوم يلحق بمظلومين . يخرجونني منكِ ليلاً لأراكِ في ثوب حدادكِ .

أمن أجلي كل هـذا . كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا اضيع نبكِ من دمعة على خد مهجور . أنا اهون على الدهر من ذرة من ذراتك ضلت بين ثنيات الاثير . . . . .

ولي الدين يكن



ازهار واشواك

اقرار ومتاب

هذا هو عنوان القصيدة التي اشرت اليها في العدد الماضي اثناء ما رويتهُ عن الحفلة الجميلة التي أقيمت في منزل صديقي سليم سركيس اكراماً لصديقته السيدة نجلا صباغ . فزت بها لأتحف قرائي بعذوبة نظمها واطربهم ببديع معانيها ، وقد شاء خليل مطران منضد دررها ان يخصني بها وهي خير ما اقدمه لقراء الزهور في هذا الشهر . قال خليل متذكراً وما أجمل تذكاراته !

هل تذكرين[1] ونحن طفلان   عهداً «بزحلة»[2] ذكره غُنمُ
اذ يلتقي في الكرم ظلاّنِ   يتضاحكان وتأنس الكرمُ ؟

هل تذكرين بلاءنا الحسنا   حين اقتطافِ أطايب العنبِ
نُعطي ابتساماتٍ بها ثمنا   وبنا كنشوتها من الطربِ ؟

عنب « زحلة » يساوى كثيراً على ان الشاعر لم يدفع به ثمناً بخساً

هل تذكرين غداة نخطر عن   مَلكين حفَّا بالمسرّاتِ
بين السماواتِ النواضر من   عليا ودنيا والثرياتِ ؟

(١) الشاعر يخاطب السيدة نجلا صباغ قريبته (٢) مدينة في لبنان

والنهر .. هل هو لا يزال كما كنا لذاك العهدِ نألفهُ
يسقي الغياضَ زلالهُ الشبما ويزيد بهجتهـا تعطفهُ
ينصبُّ مصطخباً على الصخرِ ويسير معتـدلاً ومنعرجا
يطغي حيـال السدّ او يجري متضايقـاً آناً ومنفرجا
متخللاً خضر البساتين متهللاً لتحيـة الشجرِ
متضاحكاً ضحك المجانين لملاعب النسمات والزهرِ
واهاً لذاك النهر خلّف لي عطشاً مذيباً بعـد مصدرهِ
يا طالما أوردتهُ أملي وسقيت وهمي من تصورهِ

بورك فى هذا النهر الذى ينفخ هذه الروح فى وارد مياهه العذبة ولا عجب فهو « البردونى » الشهير

تمتـدّ أيام الفراق وبي ظمأي لذاك المنهل الشافي
وبمسمعي لهديرهِ اللجب وبنـاظري لجـاله الصافي
تلك المعـاهد بدّلت خطلاً بمعـاهد مدنيّـة الزينِ
كانت غوانيَ فاغتدت بحلّى ألقتْ عليها شبهة الزمنِ
الدهر أغلبُ وهو غيّرها وكذاك كانت شيمـة الدهرِ
لو أدرك الجنّات صيرهـا من حسن فطرتهـا الى نكرِ
ما أنسَ لا أنسَ العقيق وقدْ جزناه بعـد السيل نفترجُ
كان الربيع وكان يوم أحدْ ومسيرنا متمعّجٌ زلجُ
ونبيهة (١) الكبرى ترافقنـا مجهودةً ضجّتْ من التعبِ
ولهـا صويحبـة (٢) توافقنـا حسناء كل الحسن في أدبِ

(١) يريد بها السيدة نبيهة مدام سليم افندى مغبغب (٢) يريد بها سيدة متزوجة الآن فى نيويرك كانت فى صغرها رفيقة الشاعر وهى قريبته ايضاً

ضحاكة كالنَّور في الزهَرِ رقاصة كالغصن في الوادي
كرارة كنسيمة السحرِ ثرثارة كالطائر الشـادي

لا أعرف شدواً أحسن من شدو خليل حينما تضرب الذكرى على اوتار قلبه

صنعت بقلبي صنعهـا فاذا هو ينكر القربى ويجحدها
ترك الهوى الاهليَّ واتخذا تلك الغريبـة عنـهُ يعبدُها

وكذاك قلب الطفل يلتفت ان يلفِ حبًّا غير ما ألفا
كالطـائر البيتيّ ينفلت تبعاً لسانحة بهـا شغفـا

حسنٌ تملكني فأدَّبني ما شاء في قولي وفي فعلي
وبمثل لمح الطرف اكسبني خُلُقاً وعلمني على جهلي

اكرم بالجمال اذا كان يكسب مثل هذا الادب

أوحى اليَّ دَداً أجربهُ في آية من فطنةٍ وَدَدِ
فجمعت صلصالاً أركبهُ وصنعت تمثـالاً لهـا بيدي

قلم خليل فى الوصف يفوق قلم ابرع المصورين فلا بدع اذا جاء هذا «التمثال» الرامز الى الحب آية فى الجمال

صوَّرت شبـه الفرخ في وكرِ من غير سبقٍ لي بتصويرِ
فأتى على ما شاءه فكري ورضيت عن خلقي وتقديري

ما كان ذاك الفرخ معجزةً فتانة الاتقان والحسنِ
كلا ولم اجعله معجزةً لـكفاءة الحذاق في الفنِ

فلربَّ عينٍ فيـه لم تكنِ في الحق غير مظنّة العينِ
ومظلة للزغب لم تبنِ حتى ولا ريش الجناحين

ولعلَّ ذاكَ العش لم تفرِ فيه شروط الوضع والنقشِ
لكن على حلم من النظر تستام فيه معالم العشِ
رسم على تلك العيوب بدا لحبيبتي من أعجب العجبِ
فتناولتهُ برقةٍ وغدا بين الصواحب أنفس اللعبِ
أمُحيِّري الاحلام بالهرم وبناة بابل فتنة الحقبِ
ومهندسي اليونان من قدم والفرس والرومان والعربِ
ومشيّدي بغداد والجسرِ وممصّري الامصار للبدوِ
ومزخرفي الحمراء والقصرِ حيث انتهى بهم مدى الغزوِ
اي رافئيل المبدعَ الصورا اي ميكلنج الناقشَ البانيِ
اي كلّ فانٍ تاركٍ اثرا من طابع التخليد في فانِ
لا تستعزَّ بكم روائعكم ممدوحة في الشرق والغرب
أترون كم صغرت صنائعكم في جنب ما صنعت يدا حبي
بدليل انَّ حبيبتي فرحت بهديتي وقضت لها عجبا
ومضت تداعبها وما اقترحت شيئاً يتمُّ لها بها اربا
يوم تقضّى والفراق تلا سرعان ما وافى وما انصرما
بهوىً تولّد فيهِ واكتهلا في ساعتيهِ وشاخ وانعدما
ولّى وابقى في دجى الماضي شفقاً بعيداً واضح الأثرِ
كم اجتليهِ وراء انقاضٍ واقول يا اسفي على سحرِ
هذي حكاية حالة عبرت واستغرقت في لجة المحنِ
ما زلت أنقذ كلّ ما ذكرت قطعاً طفت منها على الزمنِ

فاذا صفاء النفس عاودني　　وأقرَّني فوق التباريح

دال الهوى الاهلي من حزني　　وبقيتما ريحانتي روحي

لا مجال اليوم للاشواك مع هذه الزهرة الزهراء ، فالى العدد القادم　　(حاصد)



سمو الامير ضياء الدين افندي اكبر أنجال جلالة السلطان وقد قدم الى القطر المصري لتحية جلالة ملك وملكةَ الانكليز في سفرهما الى الهند

﴿ رواية الشهر ﴾

القطار الضائع (١)

في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ، وقف رجل في محطة سكة حديد « لندن والنواحي الغربية الوسطى » في ليڤربول ، وطلب أن يرى مستر جايمس بلاند ناظر تلك المحطة . وكان هذا الرجل كهلاً اسمر اللون ، قصير القامة ، محدودب الظهر ، كأنَّ في عموده الفقري تقوساً أصلياً . وكان يرافقه رجل مهيب تدلّ ملامحهُ على انهُ اسبانيّ الجنس ، او اميركي من اهالي اميركا الجنوبية . وهو متأبط محفظةً صغيرة من الجلد الاسود مشدودة الى يده اليسرى بسيرٍ قد انطبقت عليهِ قبضتهُ بحرصٍ شديد

ولما مَثل الاقوس بحضرة مستر بلاند تسمَّى قائلاً : انا لويس كاراتال . وقد وصلت الساعة آتياً من احد ثغور اميركا الوسطى ، وقاصداً الى باريس حيث تستدعيني اشغالٌ عظيمة الاهمية جدًّا . ولقد ساءني كثيراً انني لم ادرك قطار الاكسبريس الذي سافر منذ هنيهةٍ الى لندن . وليس في طاقتي أن أتربص ريثما يسافر القطار الآخر لأن كل ساعة أقضيها بعيداً عن باريس تكون بمثابة قضاء مبرم على اعمالي وآمالي . لهذا اودُّ السفر في قطارٍ خاص بي وحدي غير مكترث للمال الذي يجب عليَّ بذله في هذا السبيل

فأمر مستر بلاند بأن تعدَّ قاطرة خصوصية ، وبأن تربط بها عربة للفحم ، وعربتان ، احداهما تحتوي على قسم مُعدّ للجلوس فيهِ ، وقسم يُعرف « بغرفة التدخين » والاخرى لا معنى لها سوى تخفيف ارتجاج العربة الأولى . فدخل لويس كاراتال ورفيقهُ الذي لم يعرف احد اسمهُ الى الاولى وبقيت الثانية خالية خاوية

ولم يكد يعود مستر بلاند الى مكتبه حتى وقف بين يديه رجلٌ يُدعى مستر

---

(١) The lost train للكاتب الانكليزى المشهور Conan Doyle كونن دويل

هوراس مُور وطلب منهُ بالحاح ما طلبهُ وفاز بهِ من قبل مسيو لويس كاراتال ورفيقهُ . قال ان مرضاً فجائياً اصاب زوجته في لندن ، وانهُ يخشى عليها كثيراً . نفره لازم لازب لأنَّ اموراً عائلية متوقفة على ان يدرك زوجتهُ قبل وفاتها فان هي ماتت قبل أن يراها جرَّت معها الى القبر مستقبل عائلةٍ بأسرها

فقال مستر بلاند ان القانون يحظر عليهِ أن يُسيِّر قطارين خصوصيين على خطٍ واحد في زمان واحـد . على انهُ لا يرى مانعاً من السعي مع مسيو كاراتال لعله يسمح بأن يُشرك آخر معهُ في قطاره الخاص . وقيل لمسيو كاراتال في ذلك فأبى كلَّ الاباء . وحاول بعضهم أن يقنعهُ ولكنهُ اصرَّ على الرفض متشبثاً بكونهِ قد دفع اجرة القطار وحده فهو والحالة هـذه الآمر الناهي . فاسقط في يد مستر هوراس مُور حين غلب جفاء الاميركي الأقوس على لينهِ والحاحـهِ ، فاضطرَّ الى انتظار القطار العادي الذي كان مزمعاً أن يسافر في مساء ذلك النهار

ومشى القطار الخاص المقلّ لويس كاراتال ورفيقه في الساعة الرابعة ونصف تماماً . وكان الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر خالياً ، فلم يكن من الواجب أن يقف في محطةٍ ما قبل بلوغهِ الى منشستر اذ يصلها حوالي الساعة السادسة

ثمَّ كانت الساعة السادسة ور بعاً ولم يبلغ القطار محطة منشستر . وابرقت هذه المحطة في ذلك الى اختها في ليفربول فقلقت هذه ، وساورتها المخاوف ، وأبرقت في دورها الى محطة « سنت هيلنس » الواقعة على نحو ثلثي الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر وسألتها عن ذلك القطار فورد منها الجواب التالي :

« مر القطار المخصوص فى الساعة ٤ والدقيقة ٥٢ » دوسر
سنت هيلنس

وكان ورود هذا النبأ على ليفربول في الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ . وفي الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ وصل نبأ برقي آخر من منشستر يقول : لا عين ولا أثر للقطار المخصوص . ثمَّ انقضت عشر دقائق أخرى فوردت البرقية التالية : تحققوا جيداً من الموعد الذى مشى فيه القطار المخصوص ، فان قطار سنت هيلنس المحلى الذى كان يجب أن يصل بعده قد دخل محطتنا بدون أن يرى له اثراً او شبه اثر منشستر

فقامت محطة ليڤر بول وقعدت لهذا النبأ ، ولكنها اطمأنت قليلاً إذ عرفت ان قطار سنت هيلنس لم يرَ اثراً للقطار المخصوص . فانتفى بذلك كل خوفٍ داخلها من حدوث أمرٍ ذي بال للقاطرة ، وترجح عندها ان احدى المحطات حجزت القطار المخصوص ريثما يمر القطار العادي . على انها رأت أن تتيقن الأمر فأبرقت في ذلك الى جميع المحطات بين ليڤر بول ومنشستر فوردت عليها الاجوبة التالية :

مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ —	محطة	كولنس كرين
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ٦ —	«	إرلستون
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ١٠ —	«	بنيوتون
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ —	«	كنيون تجنكشون
لم يمر قطار مخصوص قط من هنا —	«	بارتون موس

فالتفت حينئذٍ مستر بلاند الى مدير الخطوط الحديدية لفتة دهش واندهال وقال : مرَّ عليَّ حتى اليوم زهاء ثلاثين سنة في خدمة مصلحة السكة الحديدية ولكنني لا أتذكر ابداً انهُ مرَّ بي مثل هذا الحادث الغريب من قبل !

فقال المدير : حقاً ان هذا لمن الغرائب التي تحير العقول ، واني لأعتقد ان هناك مصاباً أصاب هذا القطار بين محطتي كنيون تجنكشون و بارتون موس

— وفي رأيي ان القطار قد حاد عن الخط فشرد فتدهور في وادٍ ما

— اذا كان ذلك كذلك فكيف مرَّ قطار الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الخط بدون ان يرى له أثراً او يعثر على شبه أثر ؟

— لست ادري شيئاً يا مستر هود ، ولكن الواجب يقضي علينا بأن نأمر بفحص الخط بين كنيون تجنكشون وبارتون موس

ثم ما لبث ان ورد على ليڤر بول النبأ التالي من محطة منشستر :

« ما برحنا جاهلين كل شيء بشأن القطار المخصوص . اما الخط بين كنيون تجنكشون ، و بارتون موس ، فسليم كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

وعلى أثر هذا النبأ وردت البرقية التالية من ناظر محطة كنيون تجنكشون :

« كل الآثار تدل على مرور القطار المخصوص من هنا ، ولكن من اليقين عندنا انه لم يصل الى بارتون موس . فحصت بنفسي الخط الحديدي فوجدته سليماً كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

ونزل هـذان النبأ آن نزول الصاعقة على مستر بلاند فأخذ ينتف شعره ، ويحرّق اسنانه من القهر والتأثر الشديدين ، وهو يقول: اني اكاد أجن يا مستر هود . أمن الممكن أن يتحول قطار حديدي الى بخار يتطاير ثمَّ يتلاشى فى الفضاء ؟

وفيما كان مستر بلاند ورفيقه مستر هود تتنازعهما الريب والشكوك، وتساورهما الأوهام والمخاوف اذ ورد عليهما من محطة كنيون تجنكشون هذا النبأ :

وجدنا الساعة جثة المسكين جون سلندر المهندس الميكانيكى للقطار المخصوص مطروحة فى منحدر مثلَّم على ميلين ونصف ميل من المحطة

واتفق يومئذٍ ان صحف انكلترا لم تهتم لهذا الحادث الغريب لأنهـا كانت مشغولة عنهُ بحادثة اخرى أعظم أهمية ، وأشدّ تأثيراً في النفوس . ذلك انها كانت مشاركةً باريس في اضطرابها لفضيحةٍ سياسية كبرى كانت تهدد الحكومة الفرنساوية ، وفريقاً من عظماء القوم في ذلك العهد . فلما ذكرت حادثة القطار المخصوص لم تنظر اليها الاّ نظرها الى الحوادث الجنائية التي لا يعلّق عليها شأن ما

أما مستر بلاند فاستصحب المفتش كولنس مدير بوليس السكة الحديدية ، وقصد الى كنيون تجنكشون للبحث والتدقيق في أمر القطار الضائع . وكانت على جانبي الخط الحديدي بين تلك المحطة ومحطة بارتون موس ، مناجم فحم عظيمة ، ومعامل حديدية كبرى ، مربوطة بخطوط حديدية مفردة تصل بينها و بين الخط العام المزدوج . على ان بعض تلك المناجم كان قد أهمله أصحابهُ بعد ان استثمروه واستنفدوا فحمهُ ، فتركوه أشبه شيء بهوّات عظيمة فاغرة أفواهها ، ومظلمة كأن لا قرار لها . وخيّل الى مدير البوليس لأول وهلة ان القطار المخصوص شرد الى احد تلك الخطوط الصغيرة التي لم تحوَّل إبرتهـا عند نقطة الاتصال بالخط العام . لكنهُ عاد فتذكر ان القطار الذي تلا في سيره القطار المخصوص مرَّ من هنالك ولم

يشرد . فقال في نفسهِ انهُ لا يبعد ان تكون هناك يدٌ أثيمة جرَّت القطار المخصوص الى كمين من اللصوص كان يتربص له في احدى الغابات المجاورة

وشدَّ ما كان انذهال مستر بلاند ورفيقه حين رأيا ان معظم الخطوط الصغيرة كان غير متصل بالخط العام لأن أصحاب المناجم المهملة كانوا قد اقتلعوا بضعة أمتار من الحديد عند نقطة الاتصال لعدم حاجتهم بها ، ودفعاً لما قد ينجم عنها من المصاعب للقُطُر السائرة اذا أهملتها أيدي العملة . ومع ذلك فلم تفتر عزيمة هذين الرجلين عن التدقيق والتفتيش بل ماشيا جميع الخطوط الى غاياتها ، ولكنهما لم يقفا على أثرٍ للقطار الذي كانا يفتشان عنهُ ، ولا تبينا شبهةً ما . وكان أشد ما لاقياه من الذهول حين وقفا في المكان الذي وجدت فيهِ جثة المهندس سلندر على قيد أمتار قليلة من الخط العام الى جانب أحد الخطوط الصغيرة المقتلع حديدها قديماً عند نقطة اتصالها بالخط الكبير . وقد حيرهما أمرها فلم يفهما سبب وجودها هنالك على حين كان تهشمها دليل حدوث الوفاة فور السقوط من القطار اثناء سيره السريع

وعادت الصحف الى هذه الحادثة فذكرتها بعد أيام متهمةً مستر كولنس بالعجز والتقصير . وحملت عليه حملةً اضطرتهُ الى اعتزال وظيفتهِ حاقداً جازعاً

وفي اليوم الخامس من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٩٠ نشرت الصحف الرسالة التالية وقد كتبها « مك فرسن » الذي كان يقود القطار المخصوص وأرسلها الى زوجتهِ من نيويرك فدفعتها زوجته الى الجرائد فنشرتها هذه وهي :

زوجتي المحبوبة

تذكرتكِ في غربتي وتذكرت شقيقتي العزيزة لويزا فهاجت الذكرى أشواقي اليكما . وتفكرت مليًّا في حالنا الحاضرة فوجدت ان المروءة تقضي عليَّ بألاَّ أتركما وحيدتين في لندن لا تجدان نصيراً ولا تلقيان سلوى . فلهذا أنا باعث اليكِ أيتها الحبيبة بمبلغ عشرين جنيهاً تبذلينها نفقةً لكما في سفركما الى هذه البلاد . فتعالي اذن توًّا الى نيويرك واقصدي الى بيت « جونستون » فيها حيث تجدين اني قد تركت لك الارشادات اللازمة لمعرفة المكان الذي سنتلاقى فيه . أما حالي فهي

ثقة جداً في الاثناء الحاضرة ولكنَّ قلقها يجب ان لا يكون عقبةً في سبيل اجتماعنا.

السلام عليكِ وعلى الحبيبة لويزا من زوجك

جايمس منك فرُسن

ثم سافرت هاتان المرأتان الى نيويرك تحت مراقبة البوليس السري . وأقامتا برهةً في بيت جونستون ولكن على غير جدوى فعادتا الى لندن خائبتين . ومرَّت الايام على هذه الحوادث فنسيها الناس ، وأهملتها الجرائد فكأنها لم تكن

* * *

في سنة ١٩٠٨ اي بعد انقضاء زهاء ثماني عشرة سنة على ضياع القطار المخصوص بين ليڤربول ومنشستر ، نشرت جرائد مرسيليا في صباح احد الايام الرواية التالية ، وهي خلاصة ما اعترف به رجل يدعى « هربرت ديلرناك » الجاني المحكوم عليه بالاعدام عقاباً لقتله تاجراً يُسمَّى « بونثالو » . قال :

« متى قرأ اعترافي هذا فريق من كبار القوم ، وعظماء السياسة في باريس ، فليعلموا أني أنتظر في سجني على مثل جمر الغضا تدخلهم في امري وتوسطهم في سبيل العفو عني . والاَّ فان حديثي الخالي من الأسماء اليوم ، يتحول غداً الى إفشاء أسرار هائلة قد طوتها الايام منذ سنة ١٨٩٠ ، فان العالم ما برح يجهل حتى الساعة حقيقة حكاية القطار المخصوص الذي حمل لويس كاراتال ورفيقهُ من ليڤربول في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ثم تبخر بين محطتي كنيون تجنكشون وبارتون موس فتلاشى في الهواء . فحديثي اليوم حديث بطل تلك الرواية الذي كان يعمل بامرةِ اولئك الرجال العظام الذين وعدت بكتم أسمائهم طمعاً بأن يستصدروا العفو عني ويخرجوني من هذا السجن الذي دفعت كرها اليهِ

في سنة ١٨٩٠ قامت باريس وقعدت لتلك الفضيحة السياسية المالية الهائلة التي كادت تميت موتاً ادبياً لا حياة بعده عدداً كبيراً من ساسة فرنسا وعظماء رجالها . ان أولئك القوم كانوا أشبه شيء بهذه القطع الخشبية المهندمة الواقفة عالية الرأس في اللعبة المعروفة بلعبة « الكيْل » وكان المرحوم لويس كاراتال أشبه شيء أيضاً بتلك

الكتلة الخشبية الثقيلة التي يدحرجها اللاعبون بقوة نحو تلك الاخشاب . . . لطمة أثر لطمة ، وصدمة تلو صدمة ! واذا بتلك القطع الواقفة قد وقعت جميعها الى الارض ، الواحدة تلو الأخرى في مثل طرفة عين . اذا عرفت هذا عرفت أي خطر كان يتهدد أولئك الرجال في قدوم كاراتال الى باريس وهو المعتمد السياسي الخبير والمثري العظيم . وعليه فقد تألفت في باريس في ذلك العهد ، لجنة عُهد اليها القيام بكل عملٍ للفتك بهذا الرجل قبل وصوله الى العاصمة الفرنساوية ، وكان يعوز هذه اللجنة رجل داهية يكون يداً لها فاختارتني لذلك ، وأمدتني بالمال والنفوذ

وكان اول اعمالي اني بعثتُ الى ميركا رجلاً من اتباعي كنت اعتمد عليه كثيراً واثق باخلاصه ، وامرته بأن يتبع كاراتال كظله ، ويوقفني على حركاته وسكناته . ولكنَّ رسولي بلغ الى اميركا فور سفر كاراتال منها ، ولولا ذلك ما وصل عدونا الى ليڤربول ولا رست سفينته قط الاّ في مقر الحيتان !

ولم يكن شخص كاراتال وحده جلَّ قصدنا بل كان من اقصى امانينا ايضاً اخفاء اوراقهِ واتلافها والقضاء على رفيقه قضاء مبرماً

وأقمت في ليڤربول انتظر وصول السفينة وقد اعددت عدَّتي . ورسمت الخطة التي ازمعت ان اعمل بحسبها . واشتريت فئةً من نبهاء الانكليز لمساعدتي على اتمام قصدي . فما وقفت السفينة في الميناء حتى كنا على تمام الاهبة والاستعداد

ولما نزل كاراتال الى البر كان معه رجل اميركيّ كبير الجثة ، مهيب الطلعة ، في عينيه شرر يتقد دائماً اتقاد الكهرباء . وقد عرفناه بما سمعناه عنه من قبل . وكان اسمه غوميز وهو شجاع باسل يحب سيده ويتفانى في خدمته . ومما يجمل بي ان اتباهى بهِ الآن اني عرفت انه كان لا بد لكاراتال أن يسافر توًّا الى لندن ليتمكن من الوصول الى باريس في وقت سريع . فلم اشك قط انه سيستأجر قطاراً مخصوصاً يحمله ورفيقه الى العاصمة اذ يكون قطار الاكسبريس قد سافر قبل أن يدركه في محطة ليڤربول . وكنت قد علمت ان السائق الذي سيعهد اليه بقيادة ذلك القطار يرجَّح أن يكون المسمى « مك فرسُن » فاشتريت هـذا الرجل في عداد الذين

اشتريتهم . ثمَّ كان ما توقعته . فإن كاراتال جاء مستر بلاند وطلب منه بالحاح قطاراً مخصوصاً دفع اجرته فوراً واستقلَّ به . حينئذٍ تقدم أحـد اتباعي ووقف بحضرة مستر بلاند متسمياً باسم هوراس مور ، وطلب بدعوى اختلقهـا ما طلبه مسيو لويس كاراتال ونحن عالمون ان القانون يحظر تسيير قطارين مخصوصين في وقت واحد الى وجهة واحـدة . ولكننا طمعنا بأن كاراتال يسمح بأن يشاركه في قطاره سواه . غير ان هذا الرجل كان خائفاً وجلاً فأبى واصرَّ على ابائه رغم الحاح مستر هوراس مور الظـاهري . اما انا فكنت واقفاً على تلةٍ مشرفة على منجم الفحم المهمل في « هرتسيس » وقد ربطت خطه المفرد بالخط العام بمعاونة الفعلة الذين كانوا معي ، وحوَّلنا الطريق الى هذا الخط الصغير بحيث مرَّ القطار المخصوص شارداً عن طريقه الى طريق المنجم بل الى طريق الهاوية اللاقرار لها . وكان رفيقنا سميث الوقَّاد في قطار كاراتال ، قد أخذ على نفسه تنويم مستر سلندر المهندس لكيلا يشعر هـذا بتحوّل القطار عن خطه في المكان المختار . ولكنه قام بمهمته بطريقة فظّة كان من جرَّائها ان سلندر وقع من القطار ومات . على ان قتل المهندس على تلك الصورة كان في عملنا المرسوم اشبه شيء ببقعة سوداء في رسم جميل !

ولما اشرف القطار على الهاوية من أعلى التل خفف من فرسن سيره حتى تمكن سميث من القفز الى الارض ثمَّ عاد فادار اللولب فجأة وقفز هو ايضاً قبل أن يفوته الوقت . ومشى القطار وحده بسرعة فائقة

وكنت اراقب من موقفي كلَّ ذلك فرأيت كاراتال قد اوجس خيفةً من تمهل القطار وسرعته الفجائية فأطل من النافذة وابصر الخطر المحدق به ؛ ثمَّ رآنا واقفين ننظر اليـه ، فاستجار بنا ، واشار لنا مستغيثاً . واطلَّ غوميز من النافذة نفسها وهو يصرخ ويستغيث ايضاً ولكن على غير جدوى

كنت أرى ذلك المشهد المخيف وأنا طلق المحيا ، باسم الثغر لأني كنت أشعر في نفسي باني أتيت حينئذٍ عملاً متقناً كل الاتقان ، وقمت بمهمتي احسن قيام . ولقد خامرتني حينئذٍ فكرة التباهي والزهو ففتلت شاربيَّ كبراً واعجاباً وقلت لمن كان

حولي : ان لجنة باريس عرفت من اختارت لهذا العمل العظيم . وشعرت كأن قلبي قدَّ من فولاذ لأنني لم أتأثر قط ، ولم اكترث لذينك الرجلين البريئين

وكأنما قنط غوميز من النجاة فأشار لنا بيده ، ورمى محفظة الجلد السوداء فالتقطتها وأنا لا أعلم قصده من وضعها بين أيدينا

وسمعنا بعد هنيهةٍ قرقعةً عظيمةً عرفنا منها ان القطار المخصوص قد وقع في الهوَّة . وحدث على أثر سقوطه انفجار هائل سمع له دوي شديد وتكاثف الدخان في الجوّ ، فقلنا ان ذلك انما كان من انفجار مرجل القطار . . . ثم ساد على تلك النواحي سكون عميق ! ! !

حينئذٍ تحوَّلنا الى محو كل أثرٍ يدل على ارتكاب هذه الجريمة . فاقتلعنا الخطوط الحديدية التي كنا قد وصلنا بها خط المنجم بالخط العام ، وأعدناها بذلك الى ما كانت عليهِ من قبل ثم تفرقنا فذهب كلٌّ منا في سبيله

أما محفظة الجلد فقد احتفظت بها لنفسي لأن الحكمة تقضي بأن لا يجرّد المرء نفسه من السلاح لا سيما متى كان كثير الصلات بمثل أولئك الرجال العظام الذين أريد منهم اليوم ان يستصدروا العفو عني . وانهم فاعلون ذلك ولا ريب ، لأنهم يعلمون ان أوراق المرحوم لويس كاراتال هي في محفظة الجلد السوداء

حاشية : راجعت ما كتبتهُ الساعة فوجدت اني نسيت ان أقول كلمة عن ملك فرسن الذي كتب الى زوجتهِ يستقدمها اليهِ في نيويرك . لقد كان من شأن تلك الرسالة ان توقع ذلك الغبي في شبكة البوليس . فكان من المحتم علينا والحالة هذه ، ان نفصل بين هذا الرجل وامرأتهِ ففعلنا . واني أشير على هذه المرأة ان تتزوج اذا شاءت فقد أزلنا من طريق زواجها كل عقبة ؟

كاتبه هربرت دي لرناك
المقيم في سجن مرسيليا

